

حيث تأصل مذهب أهل السنة . ويمزج بعضهم فيه صور حيوانات ذات روح وهذه ينبغي نسبتها في أكثر الأحوال إلى تأثير فارس . ومن درس الصنائع القابلة للتشكل والتحول كالمهندسة والصنائع اليدوية لتخلل لعينيه القرون الوسطى في الشرق بما أتى به من تمدنه الخاص وما هو إلا مثال المجتمع الذي أوجده القرآن في صورة ظاهرة مؤثرة . فإذا أضيفت إلى ذلك أقوال المؤرخين والجغرافيين لا تلبث أن تطلع على هذا النظام الاجتماعي الذي يختلف من عدة وجوه عن نظامنا وكان ثقلاً على أوربا كما كان صلة بين العصور القديمة والعصور الحالية .

المسلمون والذميون والمعاهدون^(١)

الاحساس دليل الحياة

التضامن رائد العمران !

يا بني أمي ! يا بني عمي !

تدبروا رعاكم الله فيما ترونه عن أيمانكم . وتبصروا فيما تبصرونه عن شمالكم . وتفكروا فيما بين أيديكم . ثم خبروني ماذا تجدون ؟

تجدون الشعور القومي قد تجسم مناه . حتى كادت اليد لتفترقه . والعين تراه . والاحساس لعمري دليل على الحياة .

ثم ثوبوا إلى أنفسكم وانظروا كيف كنا إلى عهد قريب متنافرين متفككين لانتمسك بجبل متين من جهة الدنيا أو من جهة الدين حتى قال فينا فيلسوف المشرق : اننا انفقنا على أن لا نلتحق . .

فاليوم أحمد الله اليك يا بني مصر فقد أراد بكم الخبر اذ وفقكم إلى سبيل الاتفاق .

اليوم بدأنا نطرح تلك الأهواء التي جعلتنا شيعاً منفردة . أسعفنا الله ! بل جعلت كل فرد منا منفصلاً بنفسه منفصلاً عن سائر بني جنسه .

اليوم بدأنا نخالف ما ألفناه من تلك الاختلافات التي علمتنا إغاليين العداوات وعشبت بكيان الأمة .

(١) هي خطبة القاها في دار التمثيل العربي أحمد بك زكي من كبار علماء الأزهر يوم ٢٩ - غر

سنة ١٣٢٦ هجرية الموافق ٢٧ مارس سنة ١٩٠٨ ميلادية و ١٧ برمات سنة ١٦٢٤ قبطية

اليوم بدأ الافراد يتضامون بعضهم الى بعض فنألفت منهم افواج وجماعات بحسب المشارب والامبال والغايات .
اليوم بدأت هذه الجماعات لتجاذب وترتبط بما فيه توثيق عرى الجامعة القومية واظهار الامة في مظهرها الصحيح .
اليوم اخذت تلك الجماعات في وضع الحجر الاول من هذا البنيان . الى . فأت
اجتماعنا الآن دليل على اننا قد ادر كفتا : « ان التضامن رائد العمران » .



أيما أمة تولد فيها الاحساس وسعى افرادها الى التضامن فبشرها بخير قريب وفلاح عاجل .
ولكن هنالك شرطاً لامندوحة عنه : وهو ان يتعهد اهل الرأي فيها وأولو العزم منها هذا المظهر الجديد حتى لا يتغلب الشوك فيقتل البت الصالح الذي يأتي بالثر الشهي النافع .
ذلك واجب مقدس يتحتم علينا جميعاً ان نقوم به لخيرنا جميعاً : فكل فرد منا هو سيفه الحقيقية خادم للمجموع كما ان المجموع يتكفل بخدمة كل فرد على السواء .



دعاني أولو الفضل الذين تتألف منهم هذه الجمعية « جمعية الرابطة المسيحية » لاف
خطيباً يشك وتركوالي اختيار الموضوع كما أشتي وأريد . فلم أر أفضل من المشول بين قومي
وهم بنو أمي وبنو عمي داعياً الى انضمام العنصرين اللذين يتألف منهما كيان الامة المصرية
راجياً ان يقوم غيري من الخطباء القوميين فيسبحون على هذا النوال حتى نتوصل لنقوى بعض
دعائم التفريق التي جعلتنا مضعفة في الافواء وصيرتنا عبرة للناظرين .

لا ينبغي لي ان اقول ان المقام ضيق والمركز حرج لاني وجدت مجال القول ذا سعة
ولكن هذه السعة كانت سبباً في حيرتي فصرت اتردد واردد المثل السيار الذي صر به
الفرساويون وهو : اما الحيرة في الاختيار .

يذكرني بعد انعام النظر رأيت أن اجعل خطابي على شكل تعاضرة في صورة مناكبة
اجاذبك بها الحديث بذكر نوادر واخبار حفظها التاريخ . وليس لي من امل سوى ان
نوصل لحمل الاخلاف يرددون عنا شيئاً شبيهاً بما سأذكره لكم من مآثر الاسلاف فيكون
لنا لسان صدق في الآخرين . اذ يشتركون مع ارواحنا بسلام واغتيباط في نخبة هذا اليوم
الذي هو باكورة الارتباط بين المسلمين والاقباط .



المسلم والقبلي : واذا كنتم قلت لكم القبلي والمسلم فالاولون الآخرون والآخرون والاولون .

ليس لها إلا أم واحدة . هي مصر . وليس لها إلا أب واحد . هو النيل . فها صنوان بل شقيقان قد فرق بينهما الزمان حينما فسدت الاخلاق وتكثرت المعارف في هذه البلاد فتحكم فيها الاجنبي والطاري والدخيل سواء كانوا من هذا الدين او من ذلك الدين . بل تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم : ان لا نقول بغير الوطن وان لا نفرع لغير الجامعة القومية . هذا تاريخنا وتاريخكم يشهد لاجدادنا واجدادكم ويشهد علينا وعليكم . فما بالنا لا نرجع اسنة الاسلاف وقد كان فيها مجدنا ومجدكم ؟

سيقولون ان المسلمين اضطهدوا الاقباط . كبرت كلمة تخرج من افواههم فكها اغلاط في اغلاط .

هلموا يا بني أمي ويا بني عمي الى قاضي التحقيق او الى قاضي الاحالة ليأمر بحفظ هذه القضية لانها لم تتوفر فيها اقل دالة بل لانها مبنية على الضلالة لا محالة .



من هم المضطهدون ومن هم المضطهدون ؟

اولئك نفر قليل من الحكام الغرياء الذين لم يرعوا إلا ولا ذمة لا في المسلمين ولا في اهل الذمة . والمضطهدون (يفتح الهاء) هم المسلمون والاقباط على السواء : اللهم الا ان يقال على سبيل البسط ان الاضطهاد والضغط كانا اشد وقعا على رهط القبط : لان اسمهم جاء على حرف الطاء .

كان الحاكم الظالم اذا تولى على مصر (والظالم لا دين له) يستنزف الاموال ويستعبد الرجال لا يفرق بين فريق وفريق ولكن اثره لا يظهر ظهورا واضحا في المسلمين لانهم اكثر مالا واعز نفرا بخلاف الاقباط فان اقل حيف يقع عليهم يكون اثره اشنع واقطع لقلة عديدهم . فلو كان لي تسعون نجة وكان لآخي عشرين وقع وباء اهلك ثلثي ما املك وخمس ما لآخي لكانت مصيبي اجل واكبر وان كانت لا تذكر ولا تظهر في جنب ماحق باخي الاصغر اذ بقي لي ثلاثون وبقي له ثمان . ولو كان ثوب ذرعه عشرة اشبار سبغ عشرة اشبار وله ثوب قدره شبر في شبر ثم وقعت نقطة من الزيت على كل من الثوبين لكان وقعها على ثوبه اعظم اثرا وان كنا قد تساوتنا ضررا .

تلك هي حقيقة الحال وان كان هنالك بعض شذوذ ذرة فالتأدي لا حكم له . فبالنظر لا نشأ في الاضغان ان كان هنالك اضغان ؟ بل ينبغي لنا ان لا نكون اقل في العقل واحط في الادراك من ذلك الشرطي وذلك الحوفي . ان عند الاول نظرة الثافي ليجر فيه « محضر الخاطئة » فاخذ الثاني نظرة الاول ليشكلوا الى العظيم الذي استوفوه . فقال له « امسح وانا امسح »

إليك الآن احاديث الرسول وما ورد في شريعة المسلمين مشفوعة بتفسير من اخبار الماضين عليها تكون عبرة وتذكرة وعسى ان يكون من ورائها ما رجوه من الرجوع الى توثيق علائق الارتباط بين المسلمين والاقباط ورد في الآثار الثابتة الصحيحة انه قال :

- (١) « سنفتحون مصر وهي ارض يسمي فيها القبط فاستوصوا باهلها خيراً فان لهم ذمة ورحماً »
- (٢) « اذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فان لهم ذمة ورحماً »
- (٣) « ان الله سينفع عليكم بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيراً فان لكم منهم صبراً وذمة »
- (٤) « استوصوا بالقبط خيراً فانكم ستجدونهم نعم الاعوان على قتال عدوكم »
- (٥) « اتقوا الله في القبط لا تأكلوهم اكل الخنصر »

وابلغ من ذلك :

(٦) ان الرسول مرض فاعني عليه ثم افاق فقال استوصوا بالادُم الجعد ثم اعني عليه الثانية ثم افاق فقال مثل ذلك ثم اعني عليه الثالثة فقال مثل ذلك . فقال القوم : لو سألناه من الادُم الجعد لافاق فسالوه فقال : قبط مصر »

وابلغ من ذلك :

(٧) (قبط مصر اكرم الاعاجم كلها واسمهم يدًا وافضلهم عنصرًا وافريقهم رحماً بالعرب عامة) بقريش خاصة ومن اراد ان يذكر الفردوس او ينظر الى مثلها في الدنيا فينظر الى ارض مصر حين يخرق زرعها وتنتثر ثمارها »

وابلغ من ذلك :

(٨) انه قال عند وفاته « الله الله في قبط مصر فانكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عداة واعوانًا في سبيل الله »

(٩) وفي الحديث عن شي بن عبيد الاسمي « بلد مصر بلد معافاة من الفتن لا يريد احد هلكهم الا اهلكه الله »

(١٠) وفي الحديث ايضاً « اهل مصر الجند الضعيف ما كرم احد الا كثرهم الله مؤانته » تلك هي احاديث الرسول . واهل بعد هذه الوصايا الشكررة من حفاوة ظاهرة . اللهم انها آية تجعل المسلمين انفسهم يقبضون عليها اخوانهم الاقباط .

ولنتنظر الآن الى ما جاء في الشرح وقرره الفقهاء :

وجه اهل المصيصة سؤالاً الى الامام مالك فقالوا انا نخرج في بلاد الروم (آسيا

(الصغرى) فتلقي العليج منهم مقبلاً إلينا فإذا أخذناه قال : إنما جئت اطلب الامان فهل تصدقني ؟ فقال مالك : هذه امور مشككة ارى أن 'يرد' الى مأمته .

وبناءً على ذلك أفتى علماء الاسلام بأن الرومي إذا حلّ بساحل المسلمين تاجراً ونزل قبل أن يعطي الامان وقال : فلننت انكم لا تعرضون لمن جاءكم بفجارة حتى يسبع تجارتها وينصرف عنكم : فقالوا بأن يقبل منه قوله أو 'يرد' الى مأمته (مدونة جزء ٣ صفحة ١٠) .
فهل بعد هذا بيان في مبالغة المسلمين بالحرص على التجارة وحماية اصحابها ولو اتخذوها حيلة بل افلا يقال بأنهم السابقون الى فتح سياسة الباب المفتوح قبل أن يفتحها أهل أوروبا في هذه الأيام .

انهم توسعوا في سياسة هذا الباب المفتوح فقد ورد عن الامام مالك أيضاً (في الجزء المذكور صفحة ١١) في حق الروم ينزلون بساحل المسلمين بأمان معهم اتجاراً فيبيعون ويشترون ثم يركبون البحر راجعين الى بلادهم فإذا امكنوا في البحر رمتهم الرياح الى بعض بلدان المسلمين غير البلاد التي كانوا اخذوا فيها الامان . قال مالك : ارى لم الامان ابداً ما داموا في تجرم حتى يرجعوا الى بلادهم ولا ارى ان يهاجوا .

وافق بأن الذمي إذا امره المحاربون المسلمين ثم غنمه المسلمون فلا يكون شيئاً بل ترجع له حريته كما كانت و'يرد' الى ذمته وأهله وماله . وقد قرر أيضاً بأن اموال أهل الذمة واموال المسلمين سواء فإذا غنم المحاربون شيئاً من اموال الفريقين ثم تغلب المسلمون وغنموا هذه الاموال في جملة مغانمهم وادركها صاحبها قبل القسمة سواء كان مسلماً أو ذمياً كان هذا أولى بها بغير شيء . وإذا ادركها بعد القسمة اخذها بالثمن وان عرف أهل الاسلام انها اموال أهل الذمة لم يقسموها في الغنيمة ويردونها اليهم إذا عرفوها فقتلهم في ذلك مثل المسلمين سواء بسواء . (راجع المدونة في الجزء المذكور صفحة ١٣ و ١٤) .

ورأيت في كتاب « الدخائر الاشرفية في ألغاز الحنفية » المطبوع على هامش « كنز البيان » صفحة ١٣٦ : « اذا ماتت ام الولد وهو رضيع فاعطاه ابوہ ليهودية ترضعه مع ابن لها وناب ابوہ » وماتت اليهودية واشبهه الحال ايضاً ولد المسلم ولم يحصل التمييز بوجه وبلغا على اليهودية فابن المسلم مسلم تبعاً وقد ارتدت ولا يلزم احدهما بالاسلام للاشتباه فاحدهما مرتدة ولا يلزم بالاسلام لعدم تعيينه . وفيه ايضاً انه اذا كان للعدو حصن وفيه واحد من أهل الذمة لا يعرف وقد افتتحه المسلمون عدوة ولم يؤمنوا من فيه لا يحل لهم قتلهم بسبب هذا الذمي الواحد الذي لا يمكن تعيينه وذلك لقيام المانع بطريقة يقينية وهو وجود رجل غير معين له ما للمسلمين وعليه ما عليهم وله في غنمهم عهد وذمة .

ولا يلزم اليهودي بالحضور الى مجلس القضاء في يوم السبت الا اضطراراً بحيث لا يكون المقصود ايقاع الضرر به تعمداً بهذه الوسيلة ومن المقرر ايضاً انه اذا دعت الحال لتغليظ التين فيكون ذلك في المحل المعظم وهو المسجد الجامع للمسلم ولا يقوم مقامه مطلق مسجد ويحلف اليهودي في بيعته والنصراني في كنيسه والمجوسي في بيت النار وقال الشيخ سراج الدين عمر الحنفي قاري الهداية اذا بنى الذمي داراً عالية بين دور المسلمين وجعل لها طاقات وشبابيك تشرف على جيرانه هل يمكن من ذلك فاجاب بقوله : اهل الدمة في المعاملات كالمسلمين وما جاز للمسلمين جاز لهم وانما يمنع الذمي من تعلقه داره اذا حصل لجاره ضرر من منع ضوء او هواء هذا هو ظاهر المذهب انتهى . وحكم المسلم كذلك ايضاً في حكم الضرر بالجيران .

وحسبي هذه الشواهد الآن لانني است بشفقة ولا متشرع كما انني لا ابغي اغتنام هذه الفرصة لاقتناء درس في الشريعة الاسلامية الصريحة السمحاء فاستمحوالي اذن بان اطرق باب التاريخ وفيه غناء وكفا . بل هو الموعظة البالغة والحجة الدامغة .



لا حاجة للإشارة الى العهود الكريمة والفتح الجليلة التي انحف بها نبي الاسلام كثيراً من النصارى . فامرهما مقرر معلوم وهي اشهر من ان تذكر . قال المؤرخ القبطي الشهير بالمكين ما نصه : « ورد في تواريخ النصارى انه كان مؤثراً لهم رؤوفاً بهم . . . وقال لعمر ان تقوسهم كنفسنا واموالهم كعمولنا واعراضهم كاعراضنا . ذكر هذا الحديث صاحب كتاب المذهب واسمه (استند) الى مسلم وهو حجة الامام ابي حنيفة في قتل المسلم بالذمي . وقد عليه بعض اكابر النصارى فقام له واكرمه . فقالوا له في ذلك فقال : اذا اناكم كرم قوم فاكروموه وهذا كبير قومه . . . وقال من ظلم ذمياً كنت خصمه يوم القيامة . وقال من آذى ذمياً فقد آذاني » . ولكني لا ارى بداً من التسليم الى العهد اممري الذي جعله عمر بن الخطاب في رقبة المسلمين والكتائبين ما داموا مرتبطين بعروة الوطن التي لا انقضاء لها . فان ثالي الخلفاء الراشدين هو اول من اشتبكت في ايامه مصالح المسلمين وغير المسلمين . فقد روى المقرئزي عن « علماء الاخبار من النصارى ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما فتح مدينة القدس كتب للنصارى اماناً على انفسهم واولادهم ونسائهم واموالهم وجميع كنائسهم لا تهدم ولا تسكن . وانه جلس وسط صحن كنيسة القيامة ولما حان وقت الصلاة خرج وصلى خارج الكنيسة على الدرجة التي على بابها بمفرده ثم جلس وقال للبطلوك : لو صليت داخل الكنيسة لاختدعها المسلمون من بعدي

من النصارى وقالوا هنأ صلى عمر . وكتب كتاباً يتضمن انه لا يصلي احد من المسلمين على الدرجة الا واحداً واحداً . ولا يجتمع المسلمون للصلاة فيها ولا يؤذون عليها . وانه اشار عليه بطرك انخذ موضع الصخرة مسجداً وكان فوقها تراب كثير فتناول عمر رضي الله عنه من التراب في ثوبه فتبادر المسلمون لرفعه حتى لم يبق منه شيء . وعمر المسجد الاقصى امام المعصرة (١) ثم ان عمر رضي الله عنه اتى بيت لحم وصلى في كنيسة عند الحنية التي ولد فيها المسيح . وكتب سجلاً بأيدي النصارى : ان لا يصلي في هذا الموضع احد من المسلمين . رجل بعد رجل ولا يجتمعوا فيه للصلاة ولا يؤذون عليه .

وكثيراً ما يشير المؤرخون الى اليهود العمريّة وقد ألف ابو العباس احمد بن محمد بن العطار الدينيسري المتوفى سنة ٧١٤ كتاباً سماه « اليهود العمريّة في اليهود والنصارى » ولم اخفر بشيء سوى اسمه في كشف الظنون الذي افادنا صاحبه ايضاً هو والسخاوي سيّد « الثبر المديوك » ان المقرئ له كتاب اسمه « شذور العقود » واكل صاحب الكشف اسمه في موضع آخر بانه « عقود في تاريخ اليهود » (٢) وجاها لم تصلنا لسوء الحظ .

فلما ظهر الاسلام وارتفعت كلمته كانت مصر في يد الروم الدولة الشرقية وكان عددهم فيها ثلثائة الف نفس توزعوا وظائف الدولة فيما بينهم وكانت الامة كلها مهضومة الحقوق ليس لها سوى الاحتراف بالكتابة في الدواوين والتجارة والبيع والشراء والزراعة والفلاحة والخدمة والمهنة هذا فضلاً عن خدمة الدين فكان الاساقفة والقساوسة وغيرهم من الاقباط فلما قدم عمرو ويجبوش المسلمين قاتلهم الروم حماية للملكهم ودفعاً لهم عن بلادهم حتى نالهم عمرو على امرهم فطلب القبط من عمرو المصالحة على الجزية فصالحهم عليها واقروهم على ما يديهم من الاراضي وغيرها وصاروا معه عوناً للمسلمين على الروم وكتب عمرو لبنيامين بطرك البعاقبة اماناً في سنة عشرين من الهجرة فسرّ ذلك وقدم على عمرو وجلس على كرسي بطركيته .

ولما توجه عمرو لفتح الاسكندرية خرج معه جماعة من رؤساء القبط وقد املحوا للمسلمين الطرق واقاموا لهم الجسور (القناطر) والالواق وصارت لهم القبط اعواناً على ما ارادوا من قتال الروم حتى تم فتح الاسكندرية ورجع عمرو فاصداً القسطاط لحجاز بناحية

(١) هي الصخرة التي كلم الله عليها يعقوب فلما كانت ايام عبد الملك بن مروان ادخل المعصرة في حرم الاقصى وذلك سنة ٦٥ من الهجرة (٢) وذكر في كشف الظنون كتاباً آخر بهذا الاسم للامام ابن الجوزي المتوفى سنة ٩٠٧ وهو محفوظ بكتابة بالاستانة

الطرائفة فاستقبله بها سبعون ألف راهب خرجوا من وادي التطرون وبيد كل واحد عكاز
وطالبوا منه الامان على انفسهم واديارهم فكشبت لهم بذلك اماناً بقي عندهم وكتب ايضا بحجرات
الوجه البحري فاستقرت بايديهم . وقد بلغت في احدى السنين ما يزيد على خمسة آلاف اردب .
قال علي باشا مبارك انها لا تزيد الآن عن مائة اردب . وقال المنري يزي ان دير ابي مقار
الموجود بوادي التطرون فيه الكتاب الذي كتبه عمرو بن العاص لاولئك الرهبان بحجرات
نواحي الوجه البحري على ما اخبره من اخبر برؤيته فيه . وقد توجهت الى تلك الجهة في شهر
يوليو سنة ١٨٩٤ بعناية الاب الجليل المثلث الغبطة كيرلس الخامس بابا الكنيسة المرقسية
وبمساعدة المطران الثبيل بوانس مطران البحيرة والاسكندرية وزرت هذه الديارات
كها ونقبت فيما بها من الغرائر والركائب والجوالت في الموضوعات فيها الاوراق واكتب والمصاحف
املاً في العثور على ذلك الكتاب فلم اغفره مطلقاً والغالب على الظن انه ضاع او تلتقطه
احد سياح الافرنج فكان مثل الاقباط مثل المسلمين في التفريط ب ذخائر الاجداد . فاعل
مصر كلهم في ذلك سواة . والا فابن المعاهدات والمكاتبات الدولية التي تبادلها ملوك مصر مع
امثالهم في اوربا وغيرها ؟ انا اذا اردنا العثور على شيء من هذا القبيل كمناعة في اخص
خصائضنا على الافرنج الذين حافظوا على ما وصلهم منا وقد نشره بعض علماءهم في القرن
الماضي . فالتفريط والافراط يستوي فيهما المسلمون والاقباط . فما بالهم لا يتساوون في
احكام علائق الارتباط ؟

انتع بعد ذلك ملك الاسلام وانتشرت اعلامه في سائر الاقاف . فكانت خلفاءه
والسلطين حماة للمسيحيين يدفعون عنهم الاذى ويحفظونهم باصناف الرعاية والاكرام
وبعاملتهم مثل المسلمين بتام المساواة بل ربما زادوا في تعظيمهم وتقريرهم بما لا يكاد
يصل اليه سواة المسلمين .

هل اتاكم حديث عمرو بن العاص داعية العرب مع يحيى المعروف عند النصارى
بغراماتيقيوس اي النحوي ؟ دخل هذا الفيلسوف على الامير وقد عرف موضعه من العلوم
فاكرمه وسمع من الفاضلة الفلسفية التي لم يكن للعرب بها أنسة ما هاله ففتن به . قال
المؤرخ النصراني الفاضل غريغوريوس ابوالفرج المعروف بابن العربي في كتاب « مختصر
الديول » : كان عمرو عاقلاً حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمه وكان لا يفارقه .

وعندي ان يحيى كان يحسن التكلم بالعربية دون عمرو وقد اثبت لنا التاريخ جهله باللغة
الرومية وذلك في حادثة الارطوبون التي وقعت له بالشام وفي حديث اسره بالاسكندرية
وصنذكره فيما بعد فانه لم يفطن ليكيدة التي دبرها الروم لاغتيا له لولا معرفة صاحبه سيف

الاول ومولاه في الثاني بتلك اللغة وحسن تلطفاها في انقاذه من التهلكة .

هل انا كم حدث الحجاج بن يوسف ذلك الداهية الثاني فقد كان ملازماً لتيادوق وثيادون النصرانيين ولها مكرماً . دخل الثاني نايه يوماً فقال له الحجاج : اي شيء دواء اكل الطين . فقال : عزيمة مثلك ايها الامير . فرمى الحجاج بالطين ولم يعد الى اكله بعدها .

وهل انا كم حديث الدونوين في صدر الاسلام ؟ فقد كان القميون عليها كتاباً من النصراري وكانوا يكتبون الدفاتر باللغة الرومية حتى جاء عبد الملك بن مروان فازيمهم باستخدام اللغة العربية .

وهل سمعتم في دولة من الدول او هل جاءكم نبأ عز ملة من الملل يثقل ما حصل للاخطل ؟ فان هذا الشاعر النصراني كان في خصام مستديم مع شعراء المسلمين بل خاض في حق الهاشميين وتهجم عليهم بالمثل والمطاعن وهو على نفسه وماله آمن . هذا بعض ما امكنتني استحضاره الآن مما يتعلق بالدولة الأموية .



اما الدولة العباسية فحدث عن البحر ولا حرج فقد كان لها في هذا الباب ما هو اعجب واغرب انظروا ماذا جرى لخليفة المنصور وبخله هور حتى سماه التاريخ ابني الدوانيق والدوينيقي اكرم طبيبه جبور جيس بن جبريل بن بختيشوع وامر له بملعة جليظة وانزله في اجمل موضع من دوره واكرمه كما يكرم اخص اهله . فلما مرض الرجل خرج الخليفة بنفسه ماشياً اليه وتعرف خبره . ولشدة شغفه به وثقانيه في حبه قال له : يا حكيم انق الله واسلم وانا اضمن لك الجنة فقال : قد رضيت حيث آباني في الجنة او في النار . فضحك المنصور وامر له بعشرة آلاف دينار .

والمنصور كان حازم الرأي قد عركته الدهور وخافت الايام سطوته وروى العلم وعرف الحلال والحرام لا يدخله فنور عند حادثة ولا تعرض له ونية عند تخوفة يهود الاموال حتى يقال هو استمع الناس وينتفع في الاوقات حتى يقال هو ابخل الناس ويسوس سياسة الملوك ويثب وثوب الاسد العادي لا يبالي ان يحرس ملكه بهلاك غيره وخلف من الاموال ما لم يمتنع مثله خليفة فله ولا بعده وهو تسعمائة الف الف وستون الف الف ففرق المهدي جميع ذلك حين افشى الامر اليه .

وشبهه بذلك ما حدث بصر القاهرة في سنة ٣٨٥ فان الطبيب ابا الفتح منصور بن مقشر القبطي كان له منزلة سامية من اصحاب القصر والفق انه اعتل وتأخر عن الركوب

فلما تاملت كتب اليه العزيز بخطه : « بسم الله الرحمن الرحيم . طيبينا سلمه الله سلام الله الطيب واتم النعمة عليه . وصلت اليها البشارة بما وعبه الله من عافية الطيب وبرئه . والله العظيم لقد عدل عندنا ما رزقناه نحن من الصحة في جسمنا . اقلك الله العثرة واعادك الى افضل ما عودك من صحة الجسم وطيبة النفس وخفض العيش بحوله وقوته » . وقد دخل ابن مقشر في خدمة الحاكم بامر الله وكان مكيناً في دولته وبلغ معه اعلى المنازل واسنانها وكانت له منه الصلات الكثيرة والعطايا العظيمة فلما مرض عاده الحاكم بنفسه ولما مات لم يقبض على تركته كما جرت بها العادة على كبار المسلمين والنصارى بل ابقاها كلها لورثته واطلق لهم مالا وانرا من خزينته .

وشبهه بذلك بل ابلغ منه ما وقع للمعتصم العباسي مع طبيبيه سلويه فنه مرض فعاده الخليفة وبكى هذا الهام الجبار عنده وهو الرجل الذي لا يقاس به الرجال قوة بدن وشدة بأس وشجاعة قلب وكرم اخلاق وقال له : اشر علي بعدك بن يصلحني فقال عليك بهذا الفضولي يوحنا بن ماسويه واذا وصف لك شيئاً خذ افله اخلاطاً . فلما مات سلويه قال المعتصم : سألني به لانه كان يمسك حياتي ويدبر جسدي . وامتنع عن الاكل في ذلك اليوم وامر باحضار جنازته الى الدار وان يصلى عليها بالشمع والبخور على رأي النصارى ففعل ذلك وهو يراه وهو خليفة المسلمين . فهل سمعتم تبذل ذلك عند غير اهل الاسلام . نعم سمعنا في هذه الايام بان ملك الانكليز وهو مسيحي برتشتاني قد انتقل الى الكنيسة الكاثوليكية في لوندرة لحضور الصلاة عن نفس ملك البرنغال فقامت عليه اقامة من جمهور الانكليز وسوادهم الاعظم وكادوا يجاهرون بخلع طاعته لانه خالف الدستور .

نرجع بالحديث الى المنصور العباسي فقد كان في خدمته نوبخت النجم الفارسي النصراني فطلب ما اسميه الآن « الاحالة على المعاش » فسأله الخليفة عن خلفه فاشار بولده فاستقدمه فاستسماه فقال اسمي خرشاذماء طيباذاه ما بازار خسر وانشاء . فقال المنصور كل ما ذكرت فهو اسمك قال : نعم . فتبسم الخليفة وقال : اختر مني احدي خلتين اما ان اقتصر بك من كل ما ذكرت على طيباذ واما ان تحمل لك كنية تقوم مقام الاسم وهي ابو سهل . فقال رضيت بانكنيته . فبقيت كنيته وبطل اسمه .

ومن ذاك العهد الى قرب دخول الدولة العثمانية في مصر كانت النصارى واليهود والصابئة يكتنون (١) بابائي على وابي الحسن وابي الفضل وابي النجم وابي الخير وابي الفرج وابي

(١) قال الزمخشري في ربيع الاررار لم تكن الكنية لشيء من الامم الا للعرب خاصة وهي من مفاخرها . والكنية اعظام وما كان يؤهل لها الا ذو شرف من قومه الذين دعاهم

الكرم وإبى البقا وإبى بشر وإبى الحسين وإبى الفضل وإبى العلاء وإبى المنكارم وإبى النصر
 وإبى التفتح وإبى المنا وإبى الحجاج وإبى العنائر وإبى المنجد وإبى المعالي وإبى البركات وإبى الفخر
 وإبى الرجا . و يتلقبون بتوفى الدين وجمال الكفاة وصنيعة الخلافة وعهاد الروساء وامين
 الملك وصنيعة الملك وسيف الدولة وشمس الرياسة وركن الدين وكريم الدين وفخر الدين
 وشرف الدين واوحد الدين وامين الدولة وفخر الدولة وغرس النعمة ويسمونها بالحسن
 والحسين والعباس والفضل وعلي .

ونحو ذلك من عنوانات الشرف التي نظن نحن وانتم انها وقف على المسلمين على انها اسماء
 لرجال ورد تاريخهم في عيون الانباء وفي طبقات الحكماء وفي مختصر الدول وفي الكامل
 والمقرئزي وغيرها من المؤلفات المعتبرة .



ومن أطف ما يدل على دلال اهل الفضل في تلك الدولة ولو كانوا من غير الملة ان
 المهدي العباسي هم بالخروج الى ماسبذان (من اقليم الجبل بفارس) فتقدم الى حسنة
 حفيظته ان تخرج معه . فارسلت الى رئيس الخجيين وهو نوفيل بن توما النصراني الماروني
 قائلة له : انك اشرفت على امير المؤمنين بهذا السفر فحسنتنا سفراً لم يكن في الحساب فاجعل
 الله موتك واراحنا منك . فقال لجارية التي اتته بالرسالة : ارجعي اليها وقولي لها ان هذه
 الاشارة ليست مني . واما دعاؤك عليّ بتجليل الموت فهذا شيء قد قضى الله به وموقي
 سربع . فلا اتوهمي ان دعوتك استجيب . ولكن اعدّي لنفسك زاباً كثيراً فاذا انا
 مت فاجعليه على رأسك . فما زلت متوقعة تأويل قوله منذ توفي حتى توفي المهدي بعد
 عشرين يوماً . وتوفيل الرهاوي هذا هو الذي نقل كتابي اوميروس الشاعر على فتح مدينة
 ايلدون (تروادة) في قديم الدهر من اليهودية الى السريانية بغاية ما يكون من الفصاحة
 وقد نقل العلامة سليمان البستاني احدهما في ايامنا هذه الى اللغة العربية فجاء آية في يابه
 وبما جاء زمن الرشيد كان من اطبائه يوحنا بن ماسويه السرياني وخدم ابنه المأمون
 الى ايام المتوكل وكان معظماً يعداد جليل القدر وكان بعقد مجالس للنظر ويجري فيه من
 كل نوع من العلوم القديمة باحسن عبارة وكان يدرس ويجمع اليه تلاميذ كثيرون .
 وكان فيه دعاية شديدة يحضره من يحضره لاجلها في الاكثر . وكان من سبق الصدر
 وشدة الحدة بحيث تصدر عنه الفاظ مفحكة . شكنا اليه رجل علة فاشار عليه بالقصد فقال
 الى التكنية الاجلال عن التصريح بالامم بالكناية عنه ثم ترقوا من الكنى الى
 الالقاب الحسنة .

لم أعتده' فقال يوحنا : ولا احسبك اعتدت العلة من بطن امك . وصار اليه قسيسه وقال :
قد فسدت معدتي علي' فقال له استعمل جوارش الخوزي فقال له : قد فعلت : قال :
فاستعمل الكوفي قال : استعملت منه ارطالاً . فامر به باستعمال البنداذيقون فقال : قد
شربت منه جرة . قال : استعمل المروسي . فقال : قد فعلت واكثر . فغضب يوحنا
وقال له : يا ابانا يا قسيس ان اردت ان تبرأ فادخل في دين الاسلام فانه يصلح المعدة .

وفي ايام المأمون وهي الايام البيض التي يفتخر بها الاسلام كان الحكماء والعلماء وكلهم
مقربون لديه لا يفرق بين احد وآخر بسبب دين او مذهب . والافاضة في هذا الموضوع
تطول ولكنني اقتصر على امر واحد يدل على عداوة اهل الفن . فقد كان في زمنه من
الاطباء سهل بن سابور فارسي نصراني في لسانه لكنة خوزية وكان اذا اجتمع مع يوحنا بن
ماسويه وجيورجيس بن بختيشوع وعيسى بن الحكم و زكريا الطيففوري فصرع عنهم في العبارة ولم
يقصر في العلاج . ولكنه كان يأخذ بشاره بطريق الدعايات . فمن ذلك انه تارض واحضر شهوداً
يشهدون على وصيته وكتب كتاباً اثبت فيه اولاده وجعل اولهم جيورجيس بن بختيشوع
والثاني يوحنا بن ماسويه . وارجو اعفائي من السبب الذي اتهمه لذلك . فعرض لجيورجيس
زعم من الغيظ وكان كثير الالتمات فقال سهل : « صري و هك المسية احرؤا في اذنه
ايه خرسي » اراد بالجمجمة التي فيه : صرع وحق المسيح اقرؤا في اذنه آية الكرمي . ومن
دعاياته انه خرج في يوم الثلثة نين يريد المواضع التي تخرج اليها النصارى فرأى يوحنا بن
ماسويه في هيئة احسن من هيئته فحسده على ذلك فصار الى صاحب مسلحة الناحية (اي
القره قول) وقال له ان ابني يعقني وان انت ضربته عشرين درة موجعة اعطيتك عشرين
ديناراً ثم اخرجها فدفعاها الى من وثق به صاحب المسلحة . ثم اعتزل ناحية الى ان بلغ يوحنا
الموضع الذي هو فيه فقدمه الى صاحب المسلحة وقال : هذا ابني يعقني ويستغفر بي فجحد ان
يكون ابنه وقال يهذي هذا . قال سهل انظر يا سيدي . فغضب صاحب المسلحة ورمى يوحنا
من دابته وعشره عشرين مقرة ضرباً موجعاً مبرحاً .

تلك امور مما يتعلق بالافراد وسنعود الى شيء منها فيما بعد ولكن لا بأس من توجيه
النظر الى المجموع . ففي ايام الرشيد خطب وزيره الفضل بن يحيى البرمكي بنت خاقان الخزر
فارسلها في تحمل عظيم ولكن منيتها وافتها في مدينة برذعة فاوهم اعداء الخلافة ابها ان
ذلك كان بدسيسة عليه للتكامل به فخرج في سنة ١٨٣ من مدينة باب الابواب في جيوش
كثيفة من قومه فاوهموا بالمسلمين واهل الذمة وسبوا اكثر من مائة الف نفس وانتهكو
امراً عظيماً لم يسمع مثله في الخافقين .

والتاريخ يحددنا بأن بابكا الحرثي خرج على خلفاء الاسلام والى في المسلمين ومثلهم وكاد يهدم خلافتهم ويعني انهم من الوجود . وكان اصحابه لا يدعون رجلاً ولا امرأة ولا صبيّاً ولا طفلاً مسلماً او ذمياً الا قطعوه وقتلوه واحصى عدد القتلى بايديهم (انظروا) فكان ٢٥٠٠٠ انسان . فوجه المعتصم بالله غنايته لاستئصال شأفته وقطع جرتومته حتى ضيق في وجهه المخائق واخذ عليه المتنافذ وسد دونه المسالك . فخرج الخارجي الى بلاد الروم هارباً في زي التجار ومعه اهله فعرفه سهل بن سباط الارمني بالطريق فاسره فافتدى نفسه منه بئال عظيم فلم يقبل وبعثه الى قائد جيوش المسلمين بعد ما ركب الارمن من امه واخته وامراته الفاحشة بين يديه وكذا كان يفعل الملعون بالناس اذا اسرهم مع حرمهم فكان اهل الذمة يجدون منه بقدر وجد اهل الاسلام . اذ كانوا سواسية عنده يرتكب فيهم المحارم والآثام . ولولا اخلاص الذمي ما تخلص من هذا الفاسق الكافر اهل الاسلام . وكان المسلمون اذا حاربوا اعداءهم في الملك والسياسة وهم الروم لا يستعينون بعاونة اهل الذمة فكان هؤلاء يصيبهم ما يجل بالمسلمين من ظفر او نكابة . ولطالما أخذ الروم من اهل الذمة اسارى وعاملوهم بنفس القسوة التي يعامل بها اسارى المسلمين ولكن اذا وقع الفداء بين المتحاربين كان اول ما يشترطه المسلمون استخلاص النصارى الذميين ايضاً .

فقد روى التاريخ انه في سنة ٣٣١ هجرية في ايام الواثق ابن المعتصم كان الفداء بين المسلمين والروم على يد خاقان خادم الرشيد . فاجتمع المسلمون على نهر اللامس (١) على مسيرة يوم من طرسوس وامر الواثق بان يكون فداء اهل الذمة مطلقاً وبلا قيد ولا شرط . وما فداء المسلمين فقد امر خليفتهم بالخلفتهم قبل فكهم من الامر فن قال بخلق القرآن وان الله لا يرى في الآخرة فودي به باسير رومي وأعطي ديناراً . ومن لم يقل ذلك ترك في ايدي الروم . فسمعوا واعجبوا . فلما كان في يوم عاشوراء اتت الروم ومن معهم من الاسارى فكان المسلمون هم البادئون بهذا الخير فيطلقون الاسير فيطلق الروم اسيراً فيلقبان في وسط الجسر فاذا وصل الاسير الى المسلمين صاحوا : الله اكبر . واذا وصل الرومي الى قومه صاحوا كبير باليون . حتى فرغوا فكان عدة اسارى المسلمين اربعة آلاف واربع مائة وستين نفساً والصبيان ثمانمائة واهل ذمة المسلمين مائة نفس .

وفي سنة ٣٣٨ هجرية هجم الروم على دمياط في ثلثائة مركب فنهبوها وأحرقوا دورها وجامعها وسبوا من النساء المسلمات والذميات نحو ستائة امرأة فلم تشفع للذميات مقولتهن بالافانيم الثلاثة عند اولئك الذين قالوا انا نصارى . بل كن والمسلمات سواء في اليؤس والشقاء .

وفي سنة ٢٨٣ سارت الصقابة الى الروم فحاصروا القسطنطينية وقتلوا من اهلها خائفاً كثيراً وخرّبوا البلاد . فلما لم يجد ملك الروم منهم خلاصاً جمع من عنده من اسارى المسلمين وأعطاهم السلاح وسألم معاونته على الاستقالة ففعلوا وكشّوهم وازاحوهم عن القسطنطينية وانظروا مكافأته لهم على هذه الخدمة العريية والشهامة الاسلامية . لما رأى ملك الروم ذلك خاف المسلمين على نفسه فآخذ سلاحهم وفرّهم في البلدان حذراً من جنائهم عليه فدعا ذلك الخليفة العباسي وهو المعتضد بن الموفق الى السعي في الفداء فتم الامر وبلغ جملة من فودي به من المسلمين من الرجال والنساء والصبيان القين وخمسة واربعه انفس .

وهل يصح لنا ان نقابل تلك النخوة الشرقية بما فعله الافرنج المقيمون (لا الاسارى) بالقسطنطينية ؟ في سنة ٦٠٠ هجرية حاصرها ملك الفرنج فروى ابن العبري ان الافرنج المقيمين بها كان عددهم ثلاثين الفا فواضعوا مع الافرنج المحاصرين لها ووثبوا في البلد والقوا فيه النار فاحترق نحو ربع البلد فاشتغل الروم بذلك ففتح الفرنج الابواب ودخلوها ووضعوا السيف ثلاثة ايام وقتلوا حتى الاساقفة والرهبان والقسيسين الذين خرجوا اليهم من كنيسة اياصوفيا العظمى وبايديهم الاتاجيل والصلبان يتوسلون بها ليقوا عليهم فلم يلتفتوا اليهم وقتلهم اجمعين ونهبوا الكنيسة . فابن فعلهم من فعل عمرو بن العاص مع رهبان النطرون .

هذا وقد كانت القرن نوالك ببغداد تخربتها فشرع عضد الدولة سنة ٣٦٩ في عمارتها فعمر المساجد والاسواق وادر الاموال على الائمة والعلماء والقراء والغرباء والضعفاء الذين يأوون الى المساجد وجدد ما دثر من الانهار واعاد حفرها وتسويتها . ولكن هل وقف ذلك الامير المسلم عند هذا الحد في عاصمة عواصم الاسلام ؟ كلا : فقد ذكر ابن الاثير في الكامل انه اذن لوزيريه نصرتين هاردين (وكان نصرانياً) في عمارة البيع والاديرة واطلاق الاموال لقراشهم . فكان المسلمون والنصارى في هذا الرخاء سواء . بل ان المجوس انفسهم وهم لا ذمة لهم ولا كتاب قالوا من عدل الرجل وانصافه ما خلدته الدفاتر مع الثناء الوافر . فقد وقعت في تلك السنة فتنة في شيراز بين عامة المسلمين وعامة المجوس فذهب الاولون دور مواظبيهم وخرّبوا وقتلوا جماعة منهم . فسير عضد الدولة من جمع له كل من له اثر في ذلك وضرّبههم وبالغ في تأديبهم وزجرهم لانهم لم يراعوا حرمة الوطن والموار .

وما يدل على ارتباط المسلمين باهل الذمة عند حلول الشدائد بهم جميعاً ماوقع سنة ٦٤٠ في ملطية بأسيا الصغرى عند هجوم التتار وتوالي نكباتهم بالارض وباهل الارض . فان المسلمين والنصارى اجتمعوا في البيعة الكبرى وتحالفوا ان لا يخون بعضهم بعضاً ولا

يخالفوا المطران في جميع ما يتقدم اليهم من مداراة النار والقيام بحفظ المدينة والبيتونة على اسوارها وكف اهل الشر عن الفساد .

وفي حدود سنة ٦٥٦ هجرية ازاح النار اميراً مسلماً عن مطلية فلما رحلوا عنها رجع هذا الامير اليها واسمه علي بنادر . فالتقى اهلها الابواب في وجهه ولم يمكنوه من الدخول خوفاً من النار . فتدد عليها الحصار حتى شجر الناس وضائق بهم الحيلة . ففتح له العوام احد الابواب فدخل المدينة عنوة . وكان اول همه انه لم يترقب حتى يجيء الصباح فاصعد بالليل على المنابر جماعة ينادون ويقولون : ان الامير قد امن الرعية النصراني منهم والمسلمين فليخرج كل واحد الى عمله ودكانه وليستغل بيعه وشرائه فانما كلامه مع الحكام .

ولترجع الى ذكر الافراد لشير الى مقدار عناية ملوك الاسلام بفضلاء النصارى واحسانهم منهم ما لا يمكن ان يتصوره عقلنا في هذه الايام . فقد روى التاريخ ان يوحنا بن ماسويه الذي اشرف اليه فيما سبق كان مع الخليفة العباسي الواثق في دكان (اي دكة مبنية للجولس عليها) وكان مع الواثق قصبة فيها شص وقد القاها في دجلة ليصيد بها السمك فحرم الصيد . فالتفت الى يوحنا وكان على بينه وقال : فمباشروم عن يميني . فقال يوحنا : « يا امير المؤمنين لا تشكلم بحال . يوحنا ابوه ماسويه الخوزي . وامه رسالة الصقلية المتباعدة بثلاثمائة درهم واقبلت به السعادة الى ان صار نديم الخلفاء وشميرهم وعشيرهم حتى غمرته الدنيا فقال منها ما لم يبلغه امه . فمن اعظم الحال ان يكون هذا مشؤوماً . ولكن ان احب الامير ان اخبره بالمشؤوم من هو اخبرته » فقال من هو ؟ فقال « من ولده اربعة خلفاء ثم ساق الله اليه الخلافة . فترك خلافته وقصورها وقعد في دكان مقدار عشرين ذراعاً في مثلها في وسط دجلة لا يأمن عصف الريح عليه فيغرقه . ثم تشبه بافقر قوم في الدنيا وشرهم وهم صيادو السمك » فآذا فعل الخليفة ؟ تبع فيه الكلام ولكن تناغل مدة ثم قل لي يوحنا وهو على ذلك الدكان : يا يوحنا الا احببتك من خلة ؟ قال : وماهي ؟ قال : « ان الصياد ليطلب الصيد مقدار سائة فيصيد من السمك ما يساوي ديناراً وما اشبه ذلك . وانا اقعد منذ ندوة الى الليل فلا اصيد ما يساوي درهماً » فقال يوحنا « امير المؤمنين وضع التعجب في غير موضعه . ان الله جعل رزق الصياد من صيد السمك . فرزقه بآتيه لانه قوته وقوت عياله . ورزق امير المؤمنين بالخلافة فهو غني عن ان يرزق بشيء من السمك . فلو كان رزقه من الصيد لوافاه مثل ما يوافي الصياد »

ومثل ذلك ما حدث لمتوكل الذي تولى الخلافة بعد الواثق هذا . فقد جرى على سنة

اسلافه في تعظيم اهل الفضل مهما كانت عقيدتهم . كان الطبيب بختيشوع اذا دخل عليه في داره الخاصة جلس بجانبه على السدة : وهي منزلة لم يصل اليها وزير من المسلمين . فالتقى يوماً ان الخليفة رأى فتناً في ذيل دراعة الطبيب وكانت من ديباج رومي . فاخذ يحادثه ويعبث بذلك المنق حتى بلغ الى حد التيفق (وهو الموضع المتسع في السراويل والقميص) . ودار بينهما كلام اقضى ان سأل المتوكل بختيشوع : بماذا تعملون ان الموسوس يحتاج ان السدة . قال بختيشوع : اذا بلغ في فتق دراعة طبيبه الى حد التيفق شدته . فضحك المتوكل حتى استلقى على ظهره وامر له بملعة حسنة ومال جزيل . وكان بختيشوع هذا قد بلغ في ايام المتوكل العباسي من الجلالة والرفعة وعظم المنزلة وحسن الحال وكثرة المال مبلغاً يفوق الوصف مع كمال المروءة حتى انه كان يباري الخليفة في اللباس والزي والطيب والفرش والضيافات والتفسيح في النفقات .

وهل سمعتم بترقية مسلم في مسلم او نصراني في مسلم مثل الرئية البارة التي نظمها الشريف الرضي في ابي اسحاق ابراهيم الصائفي المتوفى في شوال سنة ٣٨٤ ومعلمها :
ارأيت من حملوا على الاعواد ارأيت كيف شبا ضياء النادي
وهي من غرر اشعاره وايانها كلها عامرة تبلغ الثمانين بيتاً . وقد عاتبه بعضهم في ذلك لكونه شريعاً يرثي صائباً فقال : انما رثيت فضله . وناهيك ب مقام الرضي لانه كان مرثناً للخلافة حتى خاطب خليفته القادر بالله بقوله :

عطفاً بغير المؤمنين فاننا في دوحة العلياء لا نفرق
ما بيننا يوم العلاء تفاوت ابداً اكلا نافي العلاء معرق
الا الخلافة ميزتك فاني انا عاقل منها وانت مطوق

وكان للنصارى واليهود في بغداد كلمة نافذة وقول مسموع في شؤون الدولة العامة والسياسية يشهد بذلك ما حدثنا به صاحب تاريخ الوزراء عن يوسف بن ليثاس او بنحاس اليهودي وزكريا بن يوحنا وابي عمرو سعيد بن الفرخان النصراني وهرود بن عمران اليهودي وبشر بن علي النصراني وابي سهل نصر بن علي النصراني وابي نصر بن بشر بن عبد الله الانباري النصراني وابي الفضل بن بشار بن بشار النصراني وعلي بن عيسى الزندي النصراني بل النساء النصرانيات كان هن يد في سياسة الملك مثل فرج النصرانية فقد كان الخليفة المقتدر العباسي ينفذها في امور الدولة ويعمل برأيها ويرسل خاتمه معها الى من يريد تقيده الوزارة . وامثال ذلك كثيرة حتى ان الناصر لدين الله فلج الجيش اسرائيل النصراني كاذبه والمعتضد بالله ملك ابن الوليد النصراني كاتب بدر الولاية العامة على الجيش . وكذلك فعل الوزير الكبير ابن الفرات فانه فلج الولاية

العامّة على جيش المسلمين لرجل نصراني وجعل انصار الدين وحماة البيضة يقبلون يده
ويقبلون امره بسبب هذه الوظيفة .

وكان بيت مال المسلمين تخرج منه الاعانات الدنية لا كابر انكتاب من النصارى
ولقد يرها بالمائة الف دينار كما وقع لاصطف بن يعقوب كاتب بيت مال الخاصة في ايام
ابن الفرات وليعقوب ابنه حتى بلغت ثروتها الف الف دينار .

وكان ابن الفرات قد رسم بان يدعى في كل يوم الى طعامه خمسة من اصحابه المسلمين
وهم : ابو الحسن موسى بن خالد وابو علي محمد بن علي بن مقلّة وابو العلي محمد بن احمد
الكلوذاني وابو عبد الله محمد بن صالح وابو عبد الله الذي روى ولده هذه القصة وهو ابو القاسم
ابن زنجي . واربعة من اخصائه النصارى وهم : ابو شرع عبد الله الفرخان النصارى وابو الحسين
سميد بن ابراهيم التستري النصارى وابو منصور عبد الله بن جبر النصارى وابو عمر سعيد بن الفرخان
النصارى . فكانوا يحضرون مجلسه في وقته من جانبيه وبين يديه ويقدم الى كل واحد منهم
طابق فيه اصناف الفاكة الموجودة في الوقت من خير كل شيء . ثم يعمل في الوسط طبق
كبير يشتمل على جميع الاصناف وكل طبق فيه . كبن يقطع بها صاحبه ما يحتاج الى قطعه
من سفرجل وخوخ وكثيرى ومعه طست زجاج يرمي فيه الثقل فاذا باعوا من ذلك حاجتهم
واستوفوا كفايتهم شيلت الاطباق وقدمت الطسوت والاباريق فغسلوا ايديهم أحضرت
المائدة مغشاة بديقي فوق مكبة خيازر ومن تحتها سفرة ادم فاضلة عليها وحواليها مناديل
الضمر من الثياب المعصور . فاذا وضعت رفعت المكبة والاعشبة واخذ القوم في الاكل
وابو الحسن ابن الفرات يخدمهم ويواسطهم ويواسيهم . فلا يزال على ذلك والالوان توضع
وترفع اكثر من ساعتين . ثم ينهضون الى مجلس في جانب المجلس الذي كانوا فيه ويغسلون
ايديهم والفراشون قيام يصبون الماء عليهم والخدم وقوف على ايديهم المناديل الحقيقية
ورطليات ماء الورد لمسح ايديهم وصبه على وجوههم .

وقد ذكرت هذه العبارة لظاهر ما كان للقوم من رفاعة وتأنق في داخلتهم كما كان
لهم من عظمة وجلال في خارجيتهم فمثل هذا النظام لو حدثنا به احد لاتهمناه بأنه يصور
لنا شيئاً مما يجري في منازل عظاما اوربا واميركا لولا انه منقول بالحرف الواحد من كتاب
« تحفة الامراء في تاريخ الوزراء » للصائغ .



ومن المقرر في الشريعة الاسلامية بناء على ما جاء في القرآن ونه الرسول وعمل عمر بن الخطاب
وعلي بن ابي طالب وعبد الله بن العباس وعبد الله بن مسعود ومن اتبعهم من ائمة الهدى ان ذوي

الارحام ترد عليهم مواريتهم . وقد كان العمل في ذلك جارياً على هذه القاعدة بصرف النظر عن ملة الوارث سواء كان مسلماً او ذمياً . ولكن السنة قد تخلفني في بعض الدول فيبطلها الحكم ظلماً وعدواناً . فقد وقع ان بيت المال اغتصب حقوق هؤلاء الوارثين من مسلمين وذميين فأمر المعتضد بالله ثم المستكفي بالله بالرجوع اليها في حق كل منهما ثم ذكرت هذه السنة الشريفة فأعادها المقتدر بالله واصدر منشوراً جليلاً امر باظهاره وقراءته على الناس في المسجدين الجامعين بمدينة السلام وارسله الى جميع اصحاب الاعمال في الآفاق وما ورد فيه بنوع التخصيص قوله : « وان يرد تركة من مات من اهل ائمة ولم يخلف وارثاً على اهل ملته » .

وكان النصارى وانتمهم يعرفون حق المسلمين عليهم ويؤازرونهم في الشدة كما يستفيدون منهم في الرخاء فقد اتفق في ايام المقتدر بالله في اوائل القرن الرابع للهجرة ان القسطنطينية تولى على ملكها حدثان ففسدا اسارى المسلمين وشهدا في التنكيل بهم واجانام واعرابهم وطالباهم بالنصر ولم ير الوزير علي بن عيسى مساعدة من نائب الخليفة على لتفاق الاموال وتجهيز الجيوش . فاشار عليه بعض جلسائه لتصرف لهم عنه بان يوسط عظيم النصارى بالطاكية وهو البطرك وعظيمهم بالقدس وهو القائلق لاث امرها ينفذ على ملوك الروم ولا يتم لهم امر الا بهما والطاعة لانهم جمهور رعيتهم الا بقولها وربنا حرم الواحد منهم فيجزم عندهم فما هو الا ان ارسل اليهما الوزير على يدي عامليه في الطاكية والقدس حتى يادر عظيم النصارية الى اتقاذ رسول عنهما مع رسول من العامل الى ملكي الروم وكتبنا لها مانعه : « انكما قد فعلنا باسارى المسلمين عندكما ما هو محرم عليكما وبخالف لوصية المسيح عليه السلام في امثالهم وامره فيمن جرى مجراه . فاما زلتما عن هذه الطريقة وعدلتما عنها الى ما تقتضيه السنة المأثورة واحسنتا الى من في ايديكما وتركتهما على اديانهم ولم تكراهما على خلاف آرائهم والا لعنا كما وتبرأنا منكما وجرمنا كما » فلما وصل الرسولان الى القسطنطينية اوصل رسول البطرك والقائلق الى الملكين وحجب صاحبه . وبعد ايام اذن له الملكان في التبول بين يديهما وقالوا له : الذي أدى الى ملك العرب من فعلنا باسارى المسلمين كذب وشناعة وقد اذنا في دخولك دار البلاط لشاهدكم وتبجع شكرهم وتعلم استعالة ما ذكر لكم في امرهم . فذهب فرأهم كأنهم خارجون من القبور وقائمون الى الشور وجوههم دالة على ما كانوا فيه من الضر والعذاب الا انهم في حالة صيانة مستأنفة ورفاهة مستجدة . قال الرسول : فأنامت ثيابهم فكأنت جدداً كلها فتبشت اني آخرت ذلك التأخير حتى غير امرهم وجدد زيههم . وقالوا لي : نحن شاكرون للملكين . فعل الله بهما

وصنع مع ايمانهم اليّ بان حالهم كانت على ما تأدى اليّنا وانما تخفف عنهم واحسن اليهم بعد حصولي هناك . وقلوا لي في عرض قولهم : كيف عرفت صورثنا ومن ثبته على مراعاتنا حتى اتفدك من اجلنا . فقلت وليّ الوزارة الوزير ابو الحسن علي بن عيسى . فبلغه خبركم فانفذ وفعل كذا وكذا ففهبوا بالدعاء له . وسمعت امرأة منهم تقول : مر يا علي بن عيسى لانني الله لك ذلك الفعل . فعند ذلك بكى الوزير بكاء شديدا ثم سجد لله تعالى شاكرًا وحامدًا .

والبلاط المذكور هنا هو دار كانت بالقسطنطينية مخصوصة لاسارى المسلمين (١) ذكره المتنبي وابوفراس وغيرهما في اشعارهم وقد ذكره ابو العباس الصفوي شاعر سيف الدولة وكان محبوبًا وضربه مثلاً .

اراني سيفي حسي مقبلاً كأنني ولم اغزُ سيفي دار البلاط مقبم

ويجمل القول ان افاضل الروم والسريان والكلدان واليعاقبة والفرس وسائر النصارى على اختلاف مللهم واليهود والنجوس والصابئة كانوا في ايام خلفاء بني العباس موضع التجارة والاعزاز والاحترام ووصلوا بعناية الخلفاء واكابر الدولة من المسلمين الى مقام محمود ودرجة لم يكن لها نظير في دولة اخرى شرقية او غربية حتى ولا في هذه الايام التي انتشرت فيها اعلام الحرية وانطلقت الافكار من قيودها القديمة التقليدية .

فكان الخلفاء وملوك المسلمين وامراءهم يجعلون ثقتهم فيهم ويسلمون اليهم طيهم وطب نسايتهم ويأتمنونهم على حريمهم واموالهم ويقضون اليهم باسرار الدولة الاسلامية ويودعون عندهم اموالهم وذخائرهم ولا يجعلون بينهم وبينهم حجاباً بل يستقبلونهم في كل وقت وبغير اذن مثل المسيحي نزيل بغداد واسحق بن حنين بن اسحق وبختيشوع بن جورجيس واليا الكرم صاعد بن توما المعروف بامير الدولة واشباههم ممن لا نرى حاجة لسرد امثالهم .

(١) وقال المسعودي «البلاط القصر ويعرف بالاتيرو وفي هذا البلاط ميناعليه سلسلة ينزل فيه رسل العرب اذا قدموا للقداء» والبلاط تعريب Balatium من اللغة اللاتينية العامية ومنه في اللغة الفرنسية القديمة Balet و Balay و Balé واصله مشتق من اللاتينية القسطنطينية التي اخذ الافرنج منها Palais القنصاوية و Palazzo العلمانية و Palacio الاسبانية و Palace الانجليزية وهكذا ومعناها في كل تلك اللغات القصر والسراي . من كلمة بلاط بمعنى القصر المائوي اخذنا نحن كلمة البلاط او البلاط المائوي . واما الاتيارو فهو تعريب لكلمة يونانية فثاريو

وكان اكابر علماء المسلمين يتلقون العلم عن افاضل النصارى وغيرهم عملاً بالحدِيث الشريف كما كان النصارى واليهود وغيرهم يتلقون العلوم الفلسفية وغيرها عن علماء الاسلام فان محمد بن موسى بن شاكر الذي كان من اوفر الناس حفظاً في الهندسة والقيوم في ايام المأمون كانت له دار في بغداد ككعبة لطلاب الفضل وعشاق العلم وقد تعلم فيها كثيرون ممن جعلوا لتلك الدولة بهاء ورواء وعطروا اسم الشرق والاسلام . نكتفي الآن بذكر ثابت بن قرة بن مروان الصائبي الحراني تزيل بغداد فان ابن شاكر المسلم لم يكتف بتفويجه في العلم بنفسه والاتفاق عليه من ماله حتى اكمل دروسه في داره عن الاساندة الذين كان يدور عليهم الارزاق التنوير الازدهان بل رأى ان لهذا الصائبي حقاً عليه بهذا الجوارفوصله بالخليفة المعتضد وادخله في جملة التمجدين فظهر فضله حتى بلغ عنده اجل المراتب واعلى المنازل وكان يجلس بمحضرته في كل وقت ويحادثه طويلاً ويضاحكه والخليفة يقبل عليه دون وزرائه وخاصته .

وقريب من ذلك ما وقع في مصر اذ التجأ اليها موسى بن ميمون اليهودي المشهور بعد ما أكره في الاندلس على الاسلام فاظهره وحفظ القرآن واشتغل بالثقفة واسر اليهودية حتى اذا ما تحين الفرصة خرج الى مصر في اواخر ايام الفاطميين فلما استقر الامر فيها اصلاح الدين الايوبي اخذه القاضي الفاضل (عبدالرحيم بن علي اليساني) تحت حمايته واشتغل عليه وقدر له رزقاً من خزينة الدولة لما رآه فيه من العلم الواسع والفضل الكامل . فانه كاتب اوجد زمانه في صناعة الطب علماً وعملاً . وكان مثقناً في العلوم وله معرفة جيدة بالفلسفة وكان الناصر صلاح الدين ولده الملك الافضل يجلان قدره كثيراً ويعتمدان على رأيه في الطب وقد تولى الرياسة العامة على جميع اليهود بديار مصر . ولقد ابتلى موسى هذا في آخر زمانه برجل من الاندلس فقيه يعرف بابي العرب وصل الى مصر وحاققه على اسلامه ورام اذاه فقتله عنه القاضي الفاضل وقال له : رجل يكره على الاسلام لا يصح اسلامه شرباً . وقد مدحه القاضي السعيد بن سناء الملك فقال :

ارى طب جاليتوس للجسم وحده وطب ابي عمران للعقل والجسم
فلو انه طب الزمان بعلمه لابراه من داء الجهالة بالعلم
ولو كان بدر التمر من يستطبه لثم له ما يدعيه من التمر
وداواه يوم التمر من كلف به وابراه يوم السرار من السم

وافادنا التاريخ ان الفارابي وهو المعلم الثاني (لان المعلم الاول هو ارسطو ليس) دخل العراق واستوطن بغداد وقرأ بها العلم الحكيم على يوحنا بن حيلان النصارى وانه هو اقرا

يحيى بن عدي النصراني البعقوبي الذي انتهت اليه رئاسة اهل المنطق في زمانه . وقيل ان
اباسهل عيسى بن يحيى المسيحي الجرجاني هو معلم الشيخ الرئيس ابن سينا صناعة الطب وان
كان الشيخ الرئيس بعد ذلك تميز ومهر فيها وفي العلوم الحكيمة حتى صنف كتباً للمسيحي
وجعلها باسمه . هذا وانتم تعلمون ان يحيى ابن عيسى بن جزلة النصراني قرأ الطب على النصراني
واراد قراءة المنطق فلم يكن فيهم من يقوم بهذا الشأن وذكره ابو علي بن الوليد شيخ المعتزلة
بانه عالم بعلم الكلام ومعرفته الالفاظ المنطقية فلأزمه لقراءة المنطق ثم حسن الشيخ له الاسلام
حتى استحباب وكان يطلب اهل محلته وسائر معارفه بغير اجرة ولا جعالة بل احتساباً ومروءة
ويحمل اليهم الادوية بغير عوض . ومن درس على شيوخ الادب المسلمين يحيى بن سعيد
ابن مالك النصراني فقد برز في هذا الفن حتى صنف ستين مقامة على مثال البديع والحريري
فاحسن فيها وكان فاضلاً في علوم الاوائل وعلم العربية والشعر يرنقز بالطلب .

وهذا باب كبير جداً يتسع فيه المجال لعشرة امثال هذا المثال غير انني اتمس الاذن
من حضرات السامعين لاقص نبأ عليهم من اغرب الانباء :

اعرف في باريس رجلاً يهودياً من الذين توفروا على درس المشرق وآدابه وتوارى به
وعنوا بالتنقيب عن كل شؤونه ولشروا كثيراً من مآثره الخالدة واسقاره الممتعة وترجموا بعضها
الى اللغات الاجنبية . ذلك الرجل هو زميلي وصديقي العلامة الفاضل هرتويغ درنبروخ
ولست الآن في مكان نقرضه وتعيد حسناته وانما اقول لكم اني رأيت في باريس قائماً
بتفسير القرآن الكريم على جماعة الطلبة الفرنسيين في مدرسة اللغات الشرقية فعبت في
نفسى من امر هذا اليهودي الذي يشرح للنصارى في باريس ولسان الفرنسي كتاب
المسلمين . ولكنني تذكرت تاريخ اجدادي وبه سيطل اعجابكم كما بطل اعجابي . فقد
كانت الشيخ المؤرخ نبي الدين ابو العباس المقرئ المشهور صاحب كتاب الخطوط
المتوفى سنة ٨٤٥ من الهجرة له المام نام بتذاهب اهل الكتاب حتى كان افاضلهم يترددون
اليه للاستفادة منه فيما يتعلق بامور دينهم وشرح مذاهبهم ومعرفته اسرار ملتهم . وقد ألف
كتاباً سماه « شارع النجاة » يشتمل على جميع ما اختلف فيه البشر من اصول دياناتهم
وفروعها مع بيان ادلتها وتوجيه الحق منها وهذا بخلاف ما نراه من البيانات المتعبدة الكثيرة
في كتابه المشهور بالخطوط الذي طبعه الخواجه روفائيل عبيد القبطي وقد اخذ الفرنسيون
يترجمونه في هذه الايام الى لغتهم بمعونة العلامة اوربان بوربان وبمعونة العلامة
كازانوفا المقيم بين ظهرانينا الآن لا كمال هذا العمل الجليل الذي برز في عالم المطبوعات
قسم كبير منه .

ولكن ابن المقرئ وابن عله من الفقيه الشافعي كمال الدين ابن يونس الذي تفقه في الموصل ثم توجه الى بغداد ثم رجع الى الموصل ومات بها رابع عشر شعبان سنة ٦٣٩ فقد كان آية ولا كالات واعجوبة ولا كالات عجيبة وموسوعة ولا كالوسوعات تجر في جميع القنون وجمع من العلوم ما لم يجتمع احد وثفرد بعلم الرياضة واتفق الفقهاء على القول بانه يدري اربعة وعشرين فنا دراية متقنة فمن ذلك مذهب الشافعي فكان فيه اوجد الزمان وكان جماعة من الطائفة الحنفية يشتغلون عليه بمذيعهم ويحل لهم مسائل « الجامع الكبير » احسن حل مع ما هي عليه من الاشكال المشهور وكان يتقن فن الخلاف العراقي (اي على مذهب الشافعي) والبخاري (اي على مذهب الحنفي) واصل الفقه واصل الدين وما وصلت كتب نخره الى الرازي الى الموصل وكان بها اذ ذاك جماعة من الفضلاء لم يفهم احد منهم اصطلاحه فيها سواء وكذلك كتاب الارشاد للامام ركن الدين العميدي لما وقف عليه حل اصطلاحاته في ليلة واحدة واقرأها على ما قالوه وكان يدري فن الحكمة والمنطق (اي كتب ارسطوطاليس المنطقية الثانية) والطبيعي والالهي وكذلك فنون الرياضة من افليدس (اي كتبه الرياضية) والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمجسطي (اي الفلك) وانواع الحساب : المنفوح منه (اي علم العدد) والجبر والمقابلة والارغاطيقي وطريقة الخطأين والموسيقى والمساحة معرفة لا يشاركه فيها غيره الا في خلوا هذه العلوم دون دقائقها والوقوف على حقائقها واستخرج في علم الاوافق طرقاً لم يهتد اليها احد وكان يبحث في العربية والتصرف بحثاً تاماً حتى انه كان يقرأ كتاب سيبويه والايضاح والتكملة لابي علي الفارسي والمنفصل للزمخشري وكان له في التفسير والحديث وما يتعلق به واسماء الرجال يد جيدة وكان يحفظ من التاريخ وايام العرب وقائعهم والاشعار والمخاضات شيئاً كثيراً وكان في كل فن من هذه الفنون كأنه لا يعرف سواء لقوته فيه وبالجملة فان مجموع ما يعلمه من الفنون لم يسمع عن احد ممن تقدمه انه جمعه وانذ كان كبار المشايخ الذين لم يقدم الراضة في العلوم يأخذون الكتاب ويجلسون بين يديه ويقرؤن عليه مع ان لم من الكتب الفائقة ما يشغل به الناس والطلاب بل كانوا يتركون بلادهم وتدريسهم ويحضرون اليه للتلقى عليه ، لقد تخرج عليه خلق كثير في كل فن . وليس كل ذلك شيئاً يذكر بجانب امر صغير كبير قد اشتهر عنه وهو الذي اردت ان اتخلص اليه بهذه المناسبة . وذلك ان علماء النصراني واليهود كانوا يقرؤن عليه الطب والفلسفة وغيرها من العلوم التي اعتاد اهل ذلك العصر عصر النور ان يقرئوها لاهل الكتاب ولا يمنعونهم منها . فليس في هذا شيء من الغرابة وانما الغريب انه مع كونه معدوداً من الفقهاء والمفسرين كان كما رواه ابن خلكان

وهو حجة ثقة يحمي اليه اهل الذمة من اليهود والنصارى ويقرؤون عليه التوراة والانجيل وقد شرح لها هذين الكتابين شرحاً يعترفون انهم لا يجدون من يوضحها لهم مثله . ولو وقع مثل هذا في عصرنا لعد غريباً جداً . ومن قرأ عليه الحكيم ناذري الانطاكي اليعقوبي الذي احكم اللغة السريانية واللاتينية بالطاكية وشدا بها شيئاً من علوم الاوائل ثم هاجر الى الموصل وقرأ على كمال الدين بن بونس مصنفات الفارابي وابن سينا وحل اوقليدس والمجسطي . ثم عاد الى انطاكية ولم يطل المكث بها لئلا رأى في نه من التقصير في التحصيل فعاد مرة ثانية الى ابن بونس والفضح ما استنها من علمه وانحدر الى بغداد والتقى علم الطب وقيد اوابده وتصيد شوارده وقصد السلطان علاء الدين ليجد له فاسخاً به ولم يقبل عليه فرحل الى الارمن وخدم قسطنطين ابا الملك حاتم ولم يستطع عشرتهم فسار مع رسول كان هناك للامبرور ملك الفرنج وهو (فريديريكوس الثاني) فقال منه افضل . ووجد له به نوالاً وانطلع مدينة باعها . فلما صلح حاله وكثر ماله اشتاق الى بلده واهله فلم يؤذن له بالتوجه فاقام الى ان امكنه الفرصة بخروج الملك في بعض غزواته الى بلاد المغرب فضم اطرافه وجمع امواله وركب سفينة كان قد اعد لها ليريه وسار في البحر مع من معه من خدمه يطلبون بركة عكة . فبينما هم سائرون اذ هبت ريح رمت بهم الى مدينة كان الملك قد ارسل بها فلما اخبر ناذري بذلك تناول شيئاً من سم كان معه ومات خجلاً لا وجلاً لان الملك لم يكن يسمع باهلاك مثله .

ومن جرى على ذلك الفخوال العلامة برهان الدين ابراهيم بن عمر البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥ هـ فانه فسر القرآن في كتاب له اسمه « نظم الدرر في تناسب الآي والسور » وهو كتاب لم يسبقه اليه احد جمع فيه من اسرار القرآن ما تحار فيه القول وهو محفوظ بالمكتبة الخديوية وفي كثير من مكاتب القسطنطينية . ولكي يكون هذا المفسر المحقق على بصيرة من امره استمد كثيراً من الامور والبيانات من التوراة والانجيل وقد اشار في اوله الى التوراة التي اعتمد عليها فقال ما نسه : « واعلم ان اكثر ما ذكرته في كتابي هذا من نسخة وقعت لي لم ادر اسم مترجمها وعلى حواشي قصولها الاوقات التي اُقرأ فيها والظاهر انها نسخة اليهود وهي قديمة جداً فكان في الورقة الاولى منها محو في اطراف الاسطر فكلمته من نسخة البعير ثم قابلت نسخة كلها مع بعض اليهود الربانيين على ترجمة سعيد القيومي وهي عديم احسن التراجم فوجدت نسخة اقرب الى حقائق اللفظ البراني ومترجمها اقدم من سعيد في لغة العرب » وسعيد هو المشهور باسم سعديا . وقد ذكره صاحب كتاب الفهرست

وكان البقاعي كما ذكرنا كرفسة مما ورد في القرآن لتعلق باهل الكتاب شرح امرها من التوراة

وغيرها من صحف الملل المتقدمة مثال ذلك انه اشار في بعض المواضع الى احدى القصص
 فشرح امرها من التوراة فقال ما نصه : « في آخر السفر الرابع منها في النسخ الموجودة بين
 اظهر اليهود الآن في هذا القرن التاسع فيما قرأته في نسخة مترجمة بالعربية وخطها كذلك
 وعليه آثار قراءتهم لها وبيان الاوقات التي يقرأ فيها كل فصل منها ثم قابلتها بالمعنى مع شخص
 منهم وكان هو القاري » ما نصه : وهذه مظاعن بني اسرائيل حيث خرجوا من ارض مصر
 باجنادهم على يدي موسى وهرون وكتب موسى مغارجهم ومراحلم عن قول الرب : فلعنوا
 من رعميس (وفي نسخة من عين شمس) في خمسة عشر يوماً من الشهر الاول » .
 ولذلك قام عليه بعض الجهلة من اهل عصره وفتحوا طريقته فجهلهم الله واهانوه وسعوا
 به لدى الحكماء ونفوه واضطهدوه بكل ما في وسعهم ولكن الرجل ثبت في عمله حتى اتم
 تفسيره وصنف ايضاً بسبب ذلك كتابين احدهما « مصاد النظر في الاشراف على مقاصد
 السور » والثاني « الاقوال القوية في حكم النقل من الكتب القديمة » وهو محفوظ
 بالكتبخانة الخديوية .
 تأتي البقية

حكم متنوعة

حكم في سيرة الحياة

ملخصة من كتب ديانة الهندو القديمة

لتطهر النفس بعرفة الذات وضبطها عن الشر وبالاستقامة والادب والدين
 الام اتقل من الارض والاب اعلى من السموات والعقل اسرع من الريح والافكار
 اكثر عدداً من العشب
 صديق رب البيت الزوجة . وصديق الغريب في بلاد بعيدة . الرفيق وصديق المريض
 الطيب . وصديق المشرف على الموت الصدقة
 اعظم خير للفضل الكرم . وللشهرة العطاء . وللسماء الحق . وللسمادة السيرة الحسنة
 الابن هو نفس الانسان . والزوجة عطية من الله . واخص معيشة الانسان من الغيوم
 خير ما يمدح الحذق وخير ما يقنى العلم وخير ما يكسب العافية وخير انواع السعادة الفناء
 اعظم ما يجب على الانسان الامتناع عن الاضرار بالناس